

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

The Andalusian community in Tunisia and its cultural role

د/ الشافعي درويش

جامعة زيان عاشور بالجلفة(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/12/31 تاريخ القبول: 2021/12/ 31 تاريخ النشر: 2021/12/31

الملخص :

إن هجرة الإنسان ظاهرة قديمة ،ارتبطت بالإنسان منذ القدم ،ثم تطورت على مر العصور والأزمان ،نظرا لتطور العوامل والأسباب ،التي تحكمت فيها وارتبطت معها .من جهة أخرى فإن آليات تلك الهجرة اختلفت من عصر إلى آخر ،كما أن نتائجها وتأثيراتها اختلفت أيضا بدورها .

من جهة أخرى فإن ظاهرة الهجرة البشرية من المواضيع ،التي تحتاج إلى دراسات ،لأنها مازال تحدث إلى يومنا ،بغض النظر عن الكيفيات والعوامل .لذلك فهي تستهوي الباحثين والدراسين باستمرار ،ولكن الهجرات التي تحتاج إلى الدراسة والتحليل ؛هي ذلك النوع من الهجرات ،التي حدثت قصرا ،أي أن أصحابها أجبروا بالقوة على الهجرة من أوطانهم .

وفي هذا المقال سنحاول تسليط الضوء على ظاهرة هجرة الأندلسيين إلى أحد بلدان المغرب الإسلامي ،وهي المغرب الأدنى أي تونس ،فقد شكلت تونس منذ سقوط غرناطة في سنة 1492م وما قبلها ؛منطقة هامة لاستقرار الأندلسيين ،وقد زادت تلك الأهمية خاصة خلال العهد العثماني .

الكلمات المفتاحية :الهجرة ،الأندلسيون ،تونس ،المغرب الإسلامي ،إسبانيا ،محاكم التفتيش .

Abstrat

Human migration is an ancient phenomenon, it was related to man since ancient times, and then developed over the ages and times,

due to the evolution of factors and causes, which controlled and associated with it.

On the other hand, the phenomenon of human migration is one of the topics, which needs studies, because it still occurs to this day, regardless of the ways and factors. Therefore, it

attracts researchers and studies constantly, but migrations that need to be studied and analyzed are the type of migrations that have occurred Palais, meaning that the owners were forced by force to emigrate from their homelands.

In this article, we will try to shed light on the phenomenon of the migration of Andalusians to Tunisia. Tunisia has formed since the fall of Granada in the year 1492 AD and earlier; an important area for the stability of Andalusians, and this importance has increased.

key words : Immigration, Andalusians, Tunis, Islamic Maghreb, Spain, Inquisition.

المؤلف المرسل: الشافعي درويش

مقدمة :

تعتبر ظاهرة الهجرة الأندلسية أو الموريسكية ،من بين المواضيع التي مازالت تدرس باستمرار وإلى غاية يومنا ،لأنها ببساطة تمثل أحد مظاهر معاناة أمة بكاملها خلال العصر الحديث .فقد تم ترحيل شعب عاش أجداده في الأندلس لمدة تزيد عن الثمانية قرون ،هجروا بالقوة وقسرا بعد أن سلبت منهم أرضهم وممتلكاتهم، وقتل الألآف منهم بعد أن لاقوا شتى أنواع التعذيب.

ومنذ أن بدأت ما يعرف بحروب الاسترداد من طرف النصارى الإسبان، الذين قاموا بإسقاط الإمارات الإسلامية الأندلسية الواحدة تلو الأخرى ،بدأت معاناة الأندلسيين ،وبدأت هجرتهم القسرية .لأن النصارى كانوا يرفضون بقاء المسلمين في أراضيهم ،فهم يريدون إقامة الممالك المسيحية ،في حين تمسك الأندلسيون بدينهم الإسلامي ،ولم يجدوا وسيلة في الحفاظ عليه ؛بعد أن

د/ الشافعي درويش

استنفذوا كل الطرق ،سوى الهروب بدينهم إلى البلاد الإسلامية ،وكانت الوجهة الأقرب والأنسب ،هي بلاد المغرب الإسلامي .

لقد تعددت أسباب هجرة الأندلسيين أو الموريسكيين كما عرفوا بعد سقوط غرناطة سنة 1492م ،إلى البلاد المغربية ،لكنها تضافرت كلها وعجلت بهجرتهم وخروجهم من وطنهم :الفردوس المفقود .وقد وجد مسلمي الأندلس في البلاد المغربية وطنا آخر على الرغم من الحنين إلى الأندلس ،والذي ظل يراود الكثير منهم حتى وفاتهم في ارض المهجر .

لا يمكن أن نصف في مقال أو كتاب حجم معاناة مسلمي الأندلس ،هذه الأمة التي يحق لأحفادها اليوم المطالبة بحقوقهم من إسبانيا في القصاص لذويهم ،لأنهم فعلا تعرضوا لشتى أنواع التنكيل والتعذيب والسلب ،والتنصير من طرف محاكم التفتيش الإسبانية ،التي استخدمت شتى أنواع التعذيب للانتقام من الأندلسيين ،لا لشيء سوى انهم مسلمين اغتصبت أرضهم من طرف نصارى كاثوليكين متعصبين .

وقد كانت تونس ملاذا للأندلسيين ؛منذ بداية حروب الاسترداد الإسبانية ،وبداية سقوط الحواضر الأندلسية ،وقد ازدادت أهميتها بالنسبة للمهاجرين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة سنة 1492م ،آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس ،وتواصلت تلك الهجرة الأندلسية خاصة بعد صدور قرار الطرد النهائي في عهد الملك فيليب الثالث في سنة 1610م .

ومن جهتهم مسلمي الأندلس استطاعوا الاندماج في المجتمع التونسي ،وخاصة بعد أن منحتهم السلطات التونسية امتيازات هامة ،ومكنتهم من الاستقرار في البلاد ،لذلك ساهموا في تنمية البلاد التونسية في مختلف الميادين ،وكان لهم دور حضاري بارز في تونس .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

والإشكالية التي تطرح في هذا المقال ،تتلخص في عدة تساؤلات ندرجها

كالتالي:

ما هي الأسباب والعوامل التي أدت بالأندلسيين إلى التوجه إلى بلاد المغرب الإسلامي وتونس خاصة ؟ وكيف كانت ظروف استقرارهم في تونس ؟ وماهي نتائج وأثار تلك الهجرة على تونس ،وما هو دورهم الحضاري في تونس ؟ .

1- أسباب وعوامل هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الإسلامي :

لقد تردد الأندلسيون في مسألة الهجرة أو البقاء في الأندلس ،فعرضوا أمرهم على علماء المغرب ،قصد إيجاد حلول لمحتهم ،ومما لاشك فيه أن مسألة الهجرة كانت عسيرة على فقهاء تلك الفترة من جهة ،وعسيرة على الأندلسيين أنفسهم ،وهي بقاء جماعات إسلامية منقطعة تماما عن بلاد الإسلام ،داخل بلاد النصرى ،وقد بدأت مأساة مسلمي الأندلس عند استيلاء ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على إمارة طليطلة في سنة 1085م ،بعد خيانة أميرها العاجز عبد القادر بن ذي النون ،الذي سلم المدينة للنصارى ،فسقطن توابعها ،وبدأت الإمارات الأندلسية تسقط الواحدة تلو الأخرى ⁽¹⁾ .

إن أسباب هجرة الأندلسيين ،أو ما أطلق عليهم لاحقا بالمورسكيين ،تعددت هذه الأسباب ،لكنها ظلت هي نفسها في خلال كل مراحل تلك الهجرة ،التي بدأت في وقت مبكر ،وقد كانت هذه الأسباب دائما هي نفسها ،في كل الهجرات المتوجهة إلى بلدان المغرب الإسلامي ،والتي ارتبطت في عمومها بسياسة إسبانيا الكاثوليكية ضد الأندلسيين ،وموقف الأندلسيين الرافض لتلك السياسة الإسبانية المتعصبة ،والحاقدة للأندلسيين وماضيهم الديني والحضاري ،لذلك وصف الكثير من الكتاب الغربيين وضعية مسلمي الأندلس بعد حروب الاسترداد الإسبانية

(1) هلايلي حنيفي :حكم هجرة الأندلسيين إلى المغرب العربي من خلال فتاوي الونشريسي ،في مجلة الحوار المتوسطي،العدد 2 ، ص 44 .

د/ الشافعي درويش

،وسقوط غرناطة ؛بأنها صراع حضاري وديني .ويمكن حصر تلك الأسباب والعوامل في التالي :

1.1- بداية ضعف الإمارات الأندلسية وسقوطها في يد النصارى :

بدأت حالة الضعف السياسي والعسكري للإمارات الأندلسية منذ هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب في سنة 1212م على أيدي النصارى ،والتي كانت البداية لتصفية الوجود الإسلامي في الأندلس ،فقد بدأت دولة الموحدين في الاضمحلال ،وبدأت الفتن الداخلية والثورات والتنافس على العرش في الأندلس .وقد استغل النصارى المسيحيون هذا الضعف ،وبدأوا في حملاتهم على المدن الإسلامية الأندلسية ،وبدأت حركة الاسترداد المسيحية ⁽²⁾ .

وسقطت الكثير من المدن الأندلسية في أيدي النصارى مثل :مدن جزر البليار وهي ميورقة في سنة 1230م ، ويابسة سنة 1235م ،ومنورقة سنة 1287م ،وقرطبة 1236م ،وبلنسية 1238م ،وشاطبة سنة 1246م ،واشبيلية سنة 1248م ⁽³⁾ . لذلك اضطر الأندلسيين إلى الهجرة إلى المدن الأندلسية الجنوبية ،التي لازالت بأيدي المسلمين ،ومنهم من فضل الهجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي .وزادت حدة هجرة الأندلسيين بعد موقعة طريف في سنة 1340م ،التي هزمت فيها جيوش بني مرين وبني الأحمر أمام النصارى ⁽⁴⁾ .

⁽²⁾ نبيلة بن عزوز: أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم حاضرة تلمسان أنموذجا ،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د) ،إشراف :دبومدين كروم ،قسم اللغة والأدب العربي ،كلية الآداب واللغات ،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ،الجزائر ،السنة الجامعية 2017/2018 ،ص ص 77-78 .

⁽³⁾ عمارة سيدي محمد :هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7/13م ودورهم الثقافي ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ،قسم الحضارة الإسلامية جامعة وهران ،الجزائر 2012/2013 ،ص ص 42-58 .

⁽⁴⁾ نبيلة بن عزوز: المرجع السابق ،ص 78.

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

1.2- الفرار من حملات التنصير ومحاكم التفتيش :

يعود تأسيس محاكم التفتيش في إسبانيا إلى سنة 1480م ،عندما أنشأ ملوك إسبانيا الكاثوليك (فرديناند وإيزابيلا) ،أول محكمة للتفتيش في مدينة اشبيلية ،ثم أنشأت محاكم أخرى لملاحقة مسلمي الأندلس في سنة 1482م في مدن :قرطبة ،وطليطلة ،وجيان ،وشقوبية ،وبلد الوليد ،وفي سنة 1483م أنشأ مجلس أعلى لمحاكم التفتيش له اختصاص مطلق في شؤون الدين .وبعد صدور قرار التعميد الإجباري في سنة 1502م ،أصبحت محاكم التفتيش تتابع المورسكيين بصرامة⁽⁵⁾ .

وبسبب محاكم التفتيش اضحى الموريسكيون عبيدا بدون سيادة ،وبدأت عمليات الاستيلاء الثقافي ،والتغريب بعد مصادرة أملاكهم ،فقد كانت عمليات التفتيش تقضي باسترداد روجي وحضاري لكافة سكان الأندلس .لقد أقرت محاكم التفتيش قطع المورسكيين عن جذورهم ،وهويتهم الثقافية ،بالقضاء على نظامهم الاجتماعي انطلاقا من قمة الهرم ،أي سحق الزعماء والمتضلعين في شؤون الإسلام⁽⁶⁾

1.3- سياسة التضييق والتنكيل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ضد الأندلسيين :

لقد كان للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية دور كبير في هجرة مسلمي الأندلس ،بسبب سياسة الظلم والضرائب التي طبقها عليهم النصارى ،ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم ،وإرغامهم على مصاهرة النصارى من اجل دمجهم بالقوة في المجتمع الإسباني ،ومنعهم من ارتداء ملابسهم العربية الإسلامية ،ومنعهم من ذبح الحيوانات على الطريقة الإسلامية ،ومنعهم من تأدية شعائرتهم

(5) محمد زروق :الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17 ،ط3 ،أفريقيا الشرق ،المغرب1998 ،ص62 .

(6) هلايلي حنيفي : حكم هجرة الأندلسيين ،المقال السابق ، ص ص 39-40 .

د/ الشافعي درويش

الدينية ، وإرغامهم على الزواج وفق العادات المسيحية ، ومنعهم من بيع ممتلكاتهم⁽⁷⁾ .

كما صدر في حق الموريسكيين عدة قرارات سنة 1526م في عهد الملك الإسباني شارل الخامس ، تمثلت في التالي :

- منع الموريسكيون من استخدام اللغة العربية في خطاباتهم أو في كتاباتهم .
- فرض عليهم تعلم الإسبانية .
- كما فرض عليهم تبديل ملابسهم حتى تصبح متفقة مع ملابس الإسبان .
- منع على الخياطين والصاغة ، الخياطة أو الصيغة على النمط الموريسكي .
- كما حظر على الموريسكيين استخدام الحمامات⁽⁸⁾ . كما اصدر فيليب الثاني سنة 1560م قرارا يحرم على الموريسكيين امتلاك الرقيق والخدم السود⁽⁹⁾ .

1.4- استعداد بلدان المغرب الإسلامي لاستقبالهم :

كانت العلاقات وطيدة بين أهل الأندلس ودول المغرب الإسلامي ، ومنذ سقوط المدن الأولى الأندلسية في يد النصارى ، فتحت البلدان المغربية أبوابها أمام الأندلسيين ، ودعمت الإمارات الإسلامية الأندلسية بالمساعدات ، وقدمت لها العون للوقوف في وجه النصارى . لذلك كانت العلاقات المتينة بين الطرفين ، سببا مباشرا في هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب ، ومثال ذلك إصدار الملك الزياني يغمراسن قرارا يمنح فيه السكن ، وحق ملكية الأراضي للمهاجرين الأندلسيين⁽¹⁰⁾ .

أما عند تأسيس العهد العثماني في الجزائر سنة 1519م ، فقد تحولت الجزائر بفضل نشاط بحريتها وجهود خير الدين بربروس إلى قاعدة للصراع

(7) نبيلة بن عزوز: المرجع السابق ، ص 79 .

(8) محمد زروق: المرجع السابق ، ص 80 .

(9) محمد عبدو حتماله : التهجير القسري لمسلمي غرناطة في عهد فيليب الثاني 1537-1598 ، نشر بدعم

الجامعة الأردنية ، الأردن 1982 ، ص 23 .

(10) نبيلة بن عزوز: المرجع السابق ، ص 81 .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

الإسلامي - المسيحي الإسباني ، كما عملت على إغاثة الموريسكيين ونقلهم إلى السواحل المغربية ، لذلك استقطبت أنظار العديد من مهاجري المرحلة الثانية بعد سقوط غرناطة سنة 1492م⁽¹¹⁾ .

في حين تشير الوثائق الإسبانية إلى حسن الاستقبال ، الذي حظي به الأندلسيون من طرف السلطة في تونس ، في عهد عثمان داي بعد طردهم نهائيا من إسبانيا ، ((... وزع عثمان داي على الأندلسيين الأراضي والسلاح ، وأعفاهم من الضرائب ، ومنحهم شبه استقلال ذاتي بالمناطق ، التي استقروا بها ، فبنوا وجددوا عدة قرى ومدن ...))⁽¹²⁾ .

1.5- سقوط غرناطة سنة 1492م وأثره على هجرة الأندلسيين:

إن معاهدة غرناطة مثلت العهد الذي أعطاه الملكان الكاثوليكيان لمسلمي غرناطة ، بعد استسلامهم ، بعد أن خاضت غرناطة آخر المعارك الإسلامية في إسبانيا عشر سنوات من الحرب مع النصارى ، وقد كانت الاتفاقية سخية بالنسبة لمسلمي غرناطة ، أكدت على منحهم حرية ممارسة شعائهم ، وشريعتهم ، ولغتهم ، وعاداتهم . ولكن الاتفاقية لم تحترم إلا مدة وجيزة بعد التوقيع⁽¹³⁾ .

وبعد أن استولى الملك الكاثوليكي فرديناند على غرناطة أخذ رجال الدين النصارى يلحون عليه على القضاء على المسلمين في إسبانيا ، وأن يفرض على المسلمين الذين يريدون البقاء في إسبانيا ، التنصر أو بيع ممتلكاتهم والعبور إلى بلاد المغرب ، وأن ذلك ليس خرقا للمعاهدات السلام السابقة ، وأنه يستحيل أن

⁽¹¹⁾ هلايلي حنفي: الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية . في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، العدد 25 ، تونس 2002 ، ص 316 .

⁽¹²⁾ نقلا عن :ميكال دي ايلزا: وثائق جديدة حول الأندلسيين بتونس في أوائل القرن الثامن عشر ، تلخيص وتعريب :نور الدين الحلاوي ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 17-18 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1988 ، ص 140 .

⁽¹³⁾ مريديس غارثيا أرنال :الموريسكيون الأندلسيون ، ترجمة وتقديم :جمال عبد الرحمان ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 2003 ، ص 31 .

د/ الشافعي درويش

يعيش المسلمون والنصارى في إسبانيا بسلام ،أو يحافظوا على ولائهم لمولوك إسبانيا إذا بقوا على الإسلام .وقد كان ملوك إسبانيا يرون أن وحدة العقيدة ،هي أساس توحيد إسبانيا ،وأن بقاء الأندلسيين على الإسلام .يقوي أواصر الصلة مع إخوانهم في شمال أفريقيا ،لذلك توجب تنصيرهم أو تهجيرهم⁽¹⁴⁾ .

ففي سنة 1567م أصدرت الحكومة الإسبانية في مدينة غرناطة عدة أوامر تخص الموريسكيين ،تحرم عليهم الالتزام بالعادات والتقاليد الإسلامية :من لباس واحتفالات ،ولغة ،وغيرها ،ولم تكن هذه المرة الأولى ،التي يحظر فيها على الموريسكيين لغتهم ،ولباسهم ،لكنهم كانوا يؤجلون هذه الإجراءات بسبب ثرواتهم⁽¹⁵⁾ .

1.6- المراسيم والقرارات الملكية الإسبانية المتعلقة بتهجير الأندلسيين :

أصدرت الملكة الإسبانية إيزابيلا مرسوما في 12 فيفري سنة 1502م ،يخبر الأندلسيين بين التنصر والرحيل ،وأمهلتهم حتى نهاية شهر افريل من العام نفسه ،وقد رحل خلال هذه المهلة نحو ثلاثمائة ألف أندلسي⁽¹⁶⁾ . وبذلك تنصلت إيزابيلا لتعهداتها في معاهدة استسلام غرناطة لمسلمي الأندلس . أما عن قرار الطرد النهائي للموريسكيين ،فإن الوثائق الإسبانية تشير إلى أنه بدأ الحديث عنه منذ سنة 1582م ،وأن السلطة الملكية الإسبانية كانت تنتظر الظروف المناسبة فقط ،أي أن قرار طرد الموريسكيين يعود إلى عهد الملك فلييب الثاني ،لكن انشغاله بالأوضاع الداخلية ،وبسبب حروب إسبانيا في أوروبا، تأخر صدور القرار إلى عهد فيليب الثالث في سنة 1609م⁽¹⁷⁾ .

⁽¹⁴⁾ محمد زروق :المرجع السابق ، ص ص 57- 58 .

⁽¹⁵⁾ مرثيديس غارثيا أرينال :المرجع السابق ،ص 53 .

⁽¹⁶⁾ بلقاسم صديقي :هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب 15-17م :الدوافع والمراحل .في المجلة المغربية

للمخطوطات ،العدد 5 ،جوان 2017م ،ص 89 .

⁽¹⁷⁾ محمد زروق :المرجع السابق ،ص 99 .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

وعلى إثر تحكم قوات الملك فيليب الثالث في الأوضاع داخل إسبانيا ،بعد تطويق مقاومات الموريسكيين ،لم يتردد فيليب الثالث في إصدار قرار التهجير الإجمالي للموريسكيين من مختلف المقاطعات الإسبانية مهما كان عددهم ،فكان موعد صدور القرار في 9 ديسمبر 1609م ،وأعطى تعليماته لحكام المقاطعات لينشره وتبليغه ابتداء من 12 جانفي 1610م ،وبدأت عملية التهجير القسري من اشبيلية⁽¹⁸⁾ .

1.7- دور العثمانيين في تهجير الأندلسيين :

كانت الاتصالات جارية باستمرار بين الموريسكيين والجزائر والقسطنطينية، خلال السنوات ما بين 1577م و1583م ،وقد ظلت الأعمال الجهادية البحرية ضد السواحل الإسبانية قائمة :بفضل التدفق المستمر للمهاجرين الموريسكيين على الإيالات المغربية ،وقد حثّ هؤلاء السلطات العثمانية على إنقاذ إخوانهم .وقد تمكن درغووث راييس من القيام بغارة بحرية على السواحل الإسبانية من حمل 1500 موريسكي ،وفي سنة 1570م استطاعت السفن العثمانية إنقاذ موريسكي بالميرا ،وفي سنة 1584م تمكن أسطول جزائري من حمل 2300 موريسكي من بلنسية ،وتواصل نشاط البحارة الجزائريين ؛أمثال حسن فنزيانو الذي نقل في نفس السنة أكثر من 2000 موريسكي من أليكانت .وفي سنة 1585م تمكنت السفن العثمانية من إنقاذ موريسكي مدينة كالوسيا ،وقد بلغت حملات المجاهدين البحرية بين سنتي 1528م و1584م حوالي 33 حملة ،عدا الحملات التي كانت تقوم بها السفن الصغيرة ،لحمل جماعات من المهاجرين إلى السواحل المغربية الموريسكيين⁽¹⁹⁾ .

⁽¹⁸⁾ عبد الله حمادي :الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس 1492-1616 ،الدار التونسية للنشر

والمؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1989 ،ص ص 90-91.

⁽¹⁹⁾ محمد زروق :المرجع السابق ، ص ص 101-102 .

د/ الشافعي درويش

2- هجرة الأندلسيين إلى تونس وظروف استقرارهم فيها :

على الرغم من التهديدات الإسبانية ،التي تقضي باسترقاق من يحاول الهرب وزوجته وأبنائه ،ومصادرة أموالهم ،إلا أن الموريسكيين لم يأبهوا لهذه التهديدات وظلوا يتسللون باستمرار إلى شمال أفريقيا ،بمساعدة المغاربة ،ففي سنة 1526 غادر 2200 موريسكي مدينة بلنسية .وفي سنة 1529 غادر 200 موريسكي بلدة أوليفا ،وفي سنة 1532 غادر 2000 موريسكي منطقة كوليرا ⁽²⁰⁾ .

وتجمع الكتابات التونسية أو الإسبانية أن أكثر عدد من الموريسكيين توجه إلى تونس سنة 1610م ،وقد قدر بحوالي 80 ألف موريسكي ،ومعظم هؤلاء من منطقة أراغون بنسة 3/2 ،والباقي من بلنسية وقشتالة ،وقد كان الموريسكيين الأراغونيين ،هم الأكثر تعليما في شبه الجزيرة الإيبيرية ،وبالتالي كان لهم ،الأثر الإيجابي على الحياة التونسية في جميع المجالات .وتجمع الكتابات أن استقبالهم في تونس كان حسنا مقارنة بالمغرب والجزائر ⁽²¹⁾ . في حين تشير كتابات أخرى أنه لجأ إلى تونس في سنة 1609م ما بين 40 ألف و50 ألف موريسكي ⁽²²⁾ .

وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب المؤنس : ((... وفي هذه السنة والتي تليها جاءت الأندلس من بلاد النصارى ،نفاهم صاحب إسبانية ،وكانوا خلقا كثيرا ،فأوسع لهم عثمان داي في البلاد ،وفرق ضعفاءهم على الناس ،وأذن لهم أن يعمرُوا أين شاءوا ،فاشتروا الهناشروبنول فيها ،واتسعوا في البلاد ،فعمرت بهم ،واستوطنوا في عدة أماكن ...)) ⁽²³⁾ .

⁽²⁰⁾ المرجع نفسه ، ص ص 81-82 .

⁽²¹⁾ نفسه ، ص ص 132-135 .

⁽²²⁾ أندريه رايمون :المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ،ترجمة :لطيف فرج ،دار الفكر للدراسات والنشر

والتوزيع ،القاهرة 1991 ،ص 42 .

⁽²³⁾ ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعييني القيرواني :المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،ط1 ،مطبعة الدولة التونسية ،تونس 1286هـ ،ص 193 .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

3- الدور الحضاري للأندلسيين وتأثيرهم في تونس:

لقد اندمج الأندلسيون في المجتمعات المغاربية بسرعة، ومن بينها المجتمع التونسي؛ وهذا بسبب التسهيلات والامتيازات، التي منحت لهم من طرف السلطات التونسية، لذلك فإن تأثيرهم في البلاد التونسية، كان واضحا ومهما، فقد لعبوا أدوار متنوعة وفي جميع الأصعدة. ويمكن أن نبين دور الجالية الأندلسية في تونس، على سبيل المثال لا الحصر في التالي :

3.1- على الصعيد السياسي :

تجمع العديد من الكتابات على الدور الذي لعبه الأندلسيون في البلاد المغاربية في الحركة البحرية، من أجل صد القرصنة والحملات المسيحية، ومثال ذلك ما قام به أسطا مراد في تونس، عندما قرر بناء ميناء بحري بعد الحملة المالطية في سنة 1640م، بقي شاهدا عليه، وقد اعتمد في ذلك المشروع على الأندلسيين، ((... وفي أيامه بنى البرج الذي بغار الملح، على يد أسطا موسى الأندلسي، وكان من أجل المراسي عمارة وحصنا، وكان قبل ذلك مكمننا للنصارى، فانحسم بذلك ضررهم ...))⁽²⁴⁾.

لقد لعب الأندلسيون المطرودين من إسبانيا دورا كبيرا في حركة الجهاد البحري المغاربية، فقد كانت إسبانيا العدو الرئيسي للإيلات المغاربية، وكان المهاجرون الأندلسيون الهاربون من التعصب الإسباني، يغذون تلك العداوة بين الطرفين، وقد اشتركوا في حركة الجهاد البحري، لأنهم ظلوا يتذكرون وحشية البحارة والجنود الإسبان، لذلك واجهت إسبانيا مع تولي الملك الإسباني فيليب

⁽²⁴⁾ نقلا عن: الشافعي درويش: العلاقات السياسية التجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م مقارنة من خلال الوثائق الأرشيفية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إشراف: د.عمار بن خروف، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية الجزائر، 2016/2015، ص 82.

د/ الشافعي درويش

الثالث محنة حقيقية ،أدت إلى هبوط التجارة الخارجية الإسبانية بسبب نشاط القرصنة المغربية ،التي تدعّمت بجهود البحارة الأندلسيين⁽²⁵⁾ .

أما عن العلاقات العدائية بين تونس وإسبانيا خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ،فقد بدأت بتدعيم تونس لمسلمي الأندلس من خلال استقبالها في سنة 1609م أكثر من ثمانين ألف أندلسي ممن شردتهم إسبانيا بعد الطرد النهائي⁽²⁶⁾ . كان ذلك في عهد الداوي عثمان داي (1591م- 1610م) من أشهر دايات العثمانيين في تونس ،الذي منح مهاجري الأندلس الأموال وأقطعهم الأراضي ، واحتضنهم بعد تهجير الإسبان لهم ، فقامت عدة مدن تونسية جديدة⁽²⁷⁾ .

وحسب بعض الوثائق الإسبانية أن :عثمان داي وزع على الأندلسيين الأراضي والسلاح ، وأعفاهم من الضرائب ،ومنحهم شبه استقلال ذاتي بالمناطق ،التي استقروا بها ،فبنوا وجددوا عدة قرى ومدن :بنزرت ،سليمان ،طبرية ،ماطر ،مجاز الباب ،السلوقية ،قريش الواد ،وتستور .وقد أتى الأندلسيون من مناطق متفرقة ،من كاتالونيا ،وطراقونا ،وأراقون ،وقشتالة .وقد جلبوا معهم أغلب الصناعات⁽²⁸⁾ . وهذا ما يؤكد الدور الذي لعبه الأندلسيون في العلاقات السياسية والتجارية بين تونس وإسبانيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

⁽²⁵⁾ جون ب وولف :الجزائر وأوروبا (1830-1500) ،ترجمة وتعريب :أبو القاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية

للكتاب ،الجزائر 1986 ،ص ص 243-245 .

⁽²⁶⁾ محمد العربي الزبيري:مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ،ط2 ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر 1975 ،ص 49 .

⁽²⁷⁾ شوقي عطا الله الجمال:المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ،ط1 ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1977،ص 109 .

⁽²⁸⁾ نقلا عن :ميكال دي إيبلازا : وثائق جديدة حول الأندلسيين بتونس في أوائل القرن الثامن عشر ،تلخيص وتعريب :نور الدين الحلاوي ، في م . ت . م ، العدد 17-18 ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، تونس 1988 ، ص 140 .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

فقد لعب المورسكيون المطرودين من إسبانيا دورا كبيرا في الجهاد البحري بتونس، منذ أن قام أسطا مراد بجلب عدد منهم من الجزائر لتعمير ميناء غار الملح، والعمل فيه. نظرا لخبرتهم الكبيرة في مجال البحر، إضافة إلى دافع الانتقام من الإسبان الذين طردوهم من بلادهم⁽²⁹⁾.

فقد أعقب الطرد النهائي للمسلمين من الأندلس في مطلع القرن السابع عشر (1609): انهيار كامل في اقتصاد إسبانيا، لأنهم كانوا طاقة عاملة لها شأنها. فقد أصيب إنتاج الصوف بضربة قاضية: بسبب تدهور تربية الأغنام في هذه الفترة في إسبانيا؛ بعد إخراج المسلمين الذين كانوا طاقة منتجة هائلة⁽³⁰⁾. وبذلك فقد تضرر الاقتصاد الإسباني بعد طرد مسلمي الأندلس، ومن جهة أخرى استفادت منهم تونس.

كانت الممالك الإسبانية إلى العقد الأول من القرن السابع عشر، ما تزال العدو الرئيسي لإيالات شمال أفريقية، وكان المهاجرون الأندلسيون الهاربون من التعصب الإسباني؛ يغذون تلك العداوة وكثيرا منهم أصبحوا أغنياء وأصحاب نفوذ، بينما اشترك آخرون منهم في حركة الجهاد البحري، وحتى بعد أن أصبحت إسبانيا أكثر عقلانية في نظرتها للإسلام ودول شمال أفريقية، بقيت عائلات أولئك المهاجرين الأندلسيين؛ يتذكرون وحشية البحارة والجنود الإسبان، وببقوا يقنعون جيرانهم بدون صعوبة؛ بأن إسبانيا ما تزال هي العدو. واجهت إسبانيا مع بداية القرن السابع عشر صعوبات كثيرة، فبتولي فليب الثالث Philippe III العرش كانت الدولة الإسبانية في محنة حقيقية، وقد انعكس الانحلال في الدولة

(29) عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م.

ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر 2006، ج2، ص29.

(30) عبد الرحمن عبد الله الشيخ: دور المسلمين في تشكيل اقتصاد إمبراطوريتي جنوة والبندقية في القرنين

السادس عشر والسابع عشر، في: م. ت. م.، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، العدد 44-43، تونس 1986، صص 145، 164.

د/ الشافعي درويش

الإسبانية في هبوط التجارة الخارجية الإسبانية ، وذلك لعدة عوامل كان من أهمها : أنشطة بحارة شمال أفريقية⁽³¹⁾ . فقد أثرت القرصنة المغربية ؛ ومنها التونسية (خصوصا) على التجارة الخارجية الإسبانية ، خاصة مع وجود قراصنة أندلسيين .

ففي سنة 1604م تحالف الأسطول الإسباني الصقلي في البحر المتوسط مع الأسطول الفرنسي ، وهاجموا الميناء التونسي حلق الوادي ، وأغرقوا وأحرقوا ست عشر سفينة حربية : كانت تحمل أكثر من أربعمائة قطعة من المدفعية⁽³²⁾ . وفي سنة 1609م أدى الهجوم المشترك الفرنسي - الإسباني على حلق الوادي إلى حرق ثلاثين مركبا⁽³³⁾ . في حين تشير مصادر أخرى إلى 35 سفينة حربية تراوح حجمها من 350 برميل إلى 700 برميل⁽³⁴⁾ .

لقد كان للمورسكيين دور كبير في انتعاش القرصنة بعد سنة 1609م : نظرا لدوافع الثأر ومعرفتهم بسواحل إسبانيا وثوراء بعضهم ، خاصة أن السلطة التونسية تجاوزت معهم ، وأعانتهم على ذلك التوجه ، وقد أخذت القرصنة ديناميكية ظرفية على اقتصاد موانئ الإيالة ، ونسق حياتها اليومية ؛ خاصة ميناء تونس ، وحلق الوادي ، وغار الملح ، وبزرت ، وسوسة ، و صفاقس ، وجزيرة جربة ، ويظهر أن حكام البلاد والأعيان والمرتدين (يقصد الأعلاج) ، مثل مراد رايس هم الذين راقبوا غالبية نشاط القرصنة ؛ لأن الاستثمار الاقتصادي بقي تابعا للنفوذ السياسي . فمثلا قبض علي ثابت 2280 سلطاني في أوت من سنة 1628م من

(31) جون وولف : المرجع السابق ، ص ص 243-245 .

(32) نفسه ، ص 248 .

(33) إبراهيم السعداوي : تطور فئة وجهاء المال بإيالة تونس ، في المجلة التاريخية المغربية ، مؤسسة التميمي

للبحث العلمي والمعلومات ، العدد 123، تونس 2006 ، ص 64 .

(34) الصادق بوبكر : إيالة تونس في القرن السابع عشر وعلاقتها التجارية مع موانئ البحر المتوسط مرسيليا وليفورنة ، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والأندلسية - الموريسكية ، تونس 1987 ، ص 05 .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

المسمى كياكوب فالنسين Ciacob Valensin مقابل تحرير أسيرين تابعين لكنيسة مدريد الإسبانية⁽³⁵⁾.

وتشير مصادر أخرى أن الموريسكيين الأندلسيين :الذين استقروا في تونس مارسوا نشاط الجهاد البحري ضد السفن الإسبانية طيلة القرن السابع عشر ،ومن بين هؤلاء يمكن أن نذكر: أسطا علي قبطان ،علي رايس أندلسي ،منصور رايس⁽³⁶⁾. كما أن إبراهيم أحمد بن غانم المعروف بابن غانم الذي قدم إلى تونس عندما تم الطرد النهائي للموريسكيين من إسبانيا في سنة 1609م ،وقد ولاه يوسف داي ست سفن للجهاد وأمره على مائتي رجل ،وقد قام بمعارك ضد الإسبان ،إلا أنه وقع في الأسر ، عندما انطلق من حلق الوادي متجها إلى السواحل الإسبانية في أوت من سنة 1610م ،وبقي في السجن سبع سنوات ،ورجع في سنة 1617م إلى البلاد التونسية ليقود حامية حلق الوادي إلى غاية سنة 1631م .حيث ألف كتابا بالإسبانية ضمّنه معلومات هامة حول صناعة المدافع وطرق استعمالها في أوربا وإسبانيا ،لأنه اشتغل في البحرية الإسبانية الرابطة بين إسبانيا والعالم الجديد ،ترجمه أحد الأندلسيين وهو أحمد الحجري الأندلسي في عهد مراد باي في سنة 1639م ،واستفادت منه البحرية التونسية في إدخال صناعة المدافع إلى البلاد التونسية⁽³⁷⁾.

3.2- على الصعيد الاقتصادي :

قام الأندلسيون بتكوين جاليات في ولايتي الجزائر وتونس ،ولعبوا دورا فعالا في الاستثمار الزراعي ،في المناطق التي توطنوا فيها ،كما قطنوا في المدن حيث

⁽³⁵⁾ إبراهيم السعداوي : المقال السابق ،ص ص 61-62 .

⁽³⁶⁾ عبد الحكيم القلعي سلامة : الموريسكيون الأندلسيون والجهاد البحري التونسي غار الملح بين 1609م و1805م ،في الندوة الدولية في موضوع الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي ، سلا 1997 ،ص 98 .

⁽³⁷⁾ عبد الحكيم القفصي : ابن غانم التونسي بين إسبانيا والعالم الجديد وإدخال المدافع إلى تونس ، في أعلام ومعالم مؤلف جماعي ،وكالة التراث والتنمية الثقافية ،المعهد الوطني للتراث ،وزارة الثقافة ، تونس 1997 ، ص ص 132،135 .

د/ الشافعي درويش

ساهموا في انعاش الأنشطة الصناعية :مثل نسج الحرير ،وصنع البلاطات الخزفية ،وأعمال البناء .فقد تمكنوا في تونس بعد أن أسكنهم عثمان داي من تطوير صناعة الشاشية ،حتى غدت النشاط الرئيسي في تونس ⁽³⁸⁾ .

وقد أشار صاحب كتاب المؤنس إلى الدور الفعال ،الذي لعبه الأندلسيين في تونس بقوله : ((... فعمرت بهم البلاد واستوطنوا في عدة أماكن ،ومن بلدانهم المشهورة سليمان ،وبلي ،ونيانو ،وقرنبالية ،وتركي ،والجديدة ،وزغوان ،وطبرية ،وقريش الواد ،ومجاز الباب ،والسلوقية ،وتستور وهي من أعظم بلدانهم واحضرها ،والعالية و، القلعة ،وغيرها .بحيث تكون عدتها أزيد من عشرين بلدا ،فصار لهم مدن عظيمة ،وغرسوا الكروم والزيتون ،والبساتين ،ومهدوا الطرق بالكراريط للمسافرين ،وصاروا يعدون من أهل البلاد (...)) ⁽³⁹⁾ .

وتتفق الوثائق الإسبانية مع التونسية في الدور الذي لعبه الأندلسيون في تونس ،والتي أشارت إلى ذلك بقولها : ((... وقد أتى الأندلسيون من مناطق متفرقة ،من كاتالونيا ،وطراقونا ،وأراقون ،وقشتالة ،وقد جلبوا معهم أغلب الصناعات (...)) ⁽⁴⁰⁾ .

لقد كان لهؤلاء الأندلسيين دور كبير في تعمير بعض المناطق التونسية ،واحياؤها ؛فقد غرسوها زيتونا ،أو جعلوا منها أراضي سقوية ؛كأراضي وادي مجردة السفلى ،وأسف الوطن القبلي ،وسواحل شمال شرق البلاد (من قلعة الأندلس إلى بنزرت) ،وقد احتفظت أماكن عديدة أسسوها ،أو أعادوا ترميمها بطابعها الأندلسي الخاص ؛مثل تستور وسليمان ⁽⁴¹⁾ .

⁽³⁸⁾ أندريه رايمون :المرجع السابق ،ص 42 .

⁽³⁹⁾ ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيي القيرواني :المصدر السابق ،ص 193 .

⁽⁴⁰⁾ نقلا عن :ميكال دي ايبيلزا :المصدر السابق ،ص 140 .

⁽⁴¹⁾ محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ،تعريب :محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3 ،دار سراس للنشر، تونس 1993 ، ص 75 .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

لقد ظهرت مشاريع اقتصادية جمعت بين أغنياء الأندلسيين وأعيان المخزن والتجار النصارى ، منذ الربع الأول من القرن 17 م ، حيث تشير المصادر إلى حدوث تقارب بين فئة رجال الأعمال التونسيين ، وممثلي الرأسمالية الأوروبية ، استجابة لمقتضيات مصالحهم المتبادلة . فالطرف الأول في حاجة إلى وساطة الماركنتية للوصول إلى أسواق أوروبا ، بينما احتاج الطرف الثاني إلى المحليين للإشراف على صفقاتهم خارج حاضرة تونس ⁽⁴²⁾ .

لقد قام الأندلسيون إثر هجرتهم إلى تونس بدور رئيسي في تسويق تجارة الجلود ، وكانت علاقاتهم التجارية قوية مع تجار القرنة (ليفورن) ، وبسبب منافسة التجار اليهود والفرنسيين لهم ما بعد سنة 1620 م ، اهتموا بتجارة الشاشية وساهموا في ترويجها ، كما قاموا بمبادلات تجارية مع المشرق الإسلامي وبلاد السودان ⁽⁴³⁾ .

فقد لعبت الجالية الأندلسية منذ قدومها إلى البلاد المغاربية ، وخاصة بعد الطرد النهائي في سنة 1609 م ، دورا كبيرا في التجارة الخارجية بين بلدان المغرب وأوروبا ، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر ، باستغلالها لمعرفتها للغات الإسبانية والبرتغالية ، وإطلاعها على عادات البلدان الأوروبية المتوسطية ، وخاصة إسبانيا والمناطق التابعة لها ⁽⁴⁴⁾ .

وقد لعبت الجالية الأندلسية التي توافدت على تونس منذ القرن 16 م ، وخاصة منذ الطرد النهائي ؛ دورا كبيرا في التجارة الخارجية بين تونس وإسبانيا خلال النصف الأول من القرن 17 م ، باستغلالها لمعرفتها للغات الإسبانية والبرتغالية ، وإطلاعها على عادات البلدان الأوروبية المتوسطية ؛ خاصة إسبانيا والمناطق التابعة لها ، لكنها سرعان ما انصرفت عنها في النصف الثاني من القرن

⁽⁴²⁾ إبراهيم السعداوي : المقال السابق ، ص 66 .

⁽⁴³⁾ الشافعي درويش : المرجع السابق ، ص 91 .

⁽⁴⁴⁾ المرجع نفسه ، ص 198 .

د/ الشافعي درويش

، بسبب مزاحمة الليفورنيين والفرنسيين . كما تمكن بعض التجار التونسيين في بداية القرن 17م من تحقيق نجاح في حقل التجارة الخارجية الأوروبية ، ومن بين هؤلاء نذكر محمد السيالة ومحمد كراث ، وإبراهيم العصفوري الذين توجهوا إلى مالطة وصقلية ، حيث لم يكن هناك رأس مال تجاري ليضيق عليهم الخناق ⁽⁴⁵⁾ .

3.3- على الصعيد الاجتماعي والثقافي :

أثر الأندلسيون في البلاد المغاربية بشكل عام من حيث العادات والتقاليد واللباس ، فقد نقلوا العديد من الملابس إلى المغاربة ، منها ما بقيت على حالها وتسميتها ، ومنها ما طوره المغاربة وأخذت تسمية مغربية . كما نقل الأندلسيون إلى بلاد المغرب الطبوع الموسيقية الأندلسية ، والتي بقيت راسخة إلى يومنا . كما نقل الأندلسيون معهم طابعهم العمراني ، الذي ساهم في رونق العمران المغربي ، وزاد من جماله ⁽⁴⁶⁾ . وما زالت هذه الطبوع موجودة في تونس إلى يومنا .

ففي مجال الهندسة المعمارية مثلا يعود الفضل للعنصر الأندلسي في تطور المعمار في تونس ، فقد امتزجت التأثيرات المحلية والأندلسية ، وأحدثت أعمالا فنية جميلة مثل : جامع يوسف داي ، وجامع حمودة باشا ، وقصور رمضان باي ، وعثمان باي ⁽⁴⁷⁾ .

وتكلم القس الإسباني فرانسيسكو في مذكراته ، وخاصة في كتابه (البعثة الدينية إلى تونس) ، عن دور الأندلسيين المقيمين في تونس ؛ حيث تكلم عن الخزنदार الذي كان يشغل منصب وزير المالية ، والذي يملك حنكة سياسية كبيرة جعلت الباي حسين بن علي يستشيريه في كل الأمور ، ومن بينها دوره الهام في إنجاز المستشفى الإسباني بتونس ، لأنه كانت له وساطة مجدية بين المسيحيين الإسبان من جهة ، والباي وأهالي البلاد من جهة أخرى ، لتذليل الصعوبات والمشاكل ، كما

⁽⁴⁵⁾ الصادق بوبكر: المرجع السابق ، ص ص 18-19 .

⁽⁴⁶⁾ محمد زروق: المرجع السابق ، ص ص 299-293 .

⁽⁴⁷⁾ محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 76 .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

ساعد محمود خزندار خيمانات على القيام برحلات عديدة داخل إيالة تونس؛ وذلك بتقديم المعونة اللازمة له؛ معنوية كانت أم مادية ،وقد توفي محمود خزندار في سنة 1726م⁽⁴⁸⁾.

وبالإضافة إلى الدور الاجتماعي الذي لعبه المستشفى ،فقد كان له دور سياسي هام حققه : بفضل تمثيله لإسبانيا على المستوى الدبلوماسي :لأن إسبانيا لم تكن لها قنصلية في تونس :كفرنسا ، أو إنجلترا على سبيل المثال⁽⁴⁹⁾. وهذا بطبيعة الحال يعود إلى أن العلاقات السياسية بين تونس وإسبانيا، ظلت عدائية ومتوترة .

وكان لفرانسييسكو خمينيس علاقات طيبة مع عدة أفراد من عائلة الخزندار؛ مثل عمه وهو شيخ أصيل مدينة سرقوسطة ،وابن أخيه ويدعى محمد السريري ،وهو يبرز الجانب الصناعي والتجاري لعائلة الخزندار مثل أغلب الأندلسيين .كما يضيف خمينيس أن هناك أندلسي آخر كان له دور كبير في تونس ،وهو سليمان الشريف القسطلبي أصله من قشتالة من عائلة الكونتيراس ،كان يقوم بأعمال القرصنة ،وتجارة العبيد التي كانت تدر عليه أرباحا طائلة .وقد قام فرانسييسكو خمينيس بجولة عبر بنزرت ،والعالية ، وغار الملح ،وتكلم عن الأندلسيين الذين بنوا قراهم على الطريقة الإسبانية ، وأقاموا مدارس وكتب بالإسبانية ،لكن الباي حسين بن علي قام بمنعها⁽⁵⁰⁾.

⁽⁴⁸⁾ ميكال دي إيبلا : المقال السابق ،ص 139 .

⁽⁴⁹⁾ الهادي الوسلاتي : المستشفى الترينيتاري الإسباني بتونس ووثيقة من أرشيفه عن حملة العثمانيين بالجزائر سنة 1756 على تونس ، في المجلة التاريخية المغربية ، العدد 21-22 ،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 1981 ،ص 170.

⁽⁵⁰⁾ ميكال دي إيبلا : المقال السابق ،ص 139.

وبعد هذه الدراسة الموجزة عن ظاهرة هجرة مسلمي الأندلس إلى البلاد التونسية ،نظرا لأهمية الموضوع من جهة ،ولحجم المعاناة الكبرى ،التي لقيها الأندلسيون أثناء هجرتهم ،وبعد أن استقروا في بلاد المغرب ،ويمكن أن نوجز بعض النتائج التي استخلصتها كالتالي :

1- أن هجرة الأندلسيون ،وتركهم وطنهم وممتلكاتهم ،إلى بلدان لم يعرفوها من قبل ،لم تكن هجرة اختيارية أو طوعية ،بل كانت هجرة قسرية فرضت عليهم بالقوة الردعية .

2- اجتمعت عدة عوامل وظروف كلها كانت تحتم على مسلمي الأندلس الخروج مكرهين من وطنهم الأندلس الفردوس المفقود .

3- من أبرز العوامل التي حتمت على الأندلسيين أو الموريسكيين كما عرفوا بعد سقوط غرناطة ،هي محاكم التفتيش الإسبانية الكاثوليكية الحاقدة على المسلمين ،لذلك لم يستطع الأندلسيين قبول ظاهرة التنصير ،وترك دينهم ،فلم يكن أمامهم سوى الهروب بدينهم .

4- بالرغم من تعهد ملوك إسبانيا (فرديناند وأيزابيلا) بالالتزام بكل شروط معاهدة تسليم غرناطة سنة 1492م ،إلا أن النزعة الكاثوليكية المتعصبة والعنصرية ضد المسلمين ،أملت عليهم الإخلال بنصوص المعاهدة ،وهو ما جعل الحل الوحيد أمام مسلمي الأندلس سوى الهجرة .

5- صدرت عدة قرارات ومراسيم ملكية من طرف ملوك إسبانيا ،أمرت جهرا بتهجير مسلمي الأندلس ،على الرغم من التزامهم بالولاء للملوك الإسبان .

6- كانت الهجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي ؛هي المفضلة والأنسب لمسلمي الأندلس ،نظرا للروابط المشتركة بينهم وبين المغاربة في ميادين عدة ،ونظرا للقرب الجغرافي .

الجالية الأندلسية في تونس ودورها الحضاري

7- استقبل البلاد التونسية أعداد متفاوتة من مسلمي الأندلس ، وكان مقامهم بتونس مريحا ومستقرا ، ولكن رغم الحنين الذي ظل يراود الأندلسيين للعودة للفردوس المفقود ، إلا أن البلاد التونسية الإسلامي كانت وطنهم الثاني والأزلي بعد هجرتهم .

8- ساهم الموريسكيون في التأثير الحضاري في مختلف الأصعدة ، والميادين في البلاد التونسية ، نظرا للميزات والخصائص ، التي تمتعوا بها والكفاءات والخبرات التي حملوها معهم .

9- وفي الأخير نرى أن ظاهرة هجرة الأندلسيين ، رغم الأقلام التي أسيلت من أجلها ، لكنها مازالت في حاجة إلى كتابات أخرى ، حتى تعطي للمعاناة حقها ، لأن أصعب شيء على الإنسان أن يترك وطنه الأم وخاصة إذا كان بالإكراه القسري .